الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:نقد حديث و معاصر

المـــــوضـــوع:

المرأة و تجلياتها في الأدب الرّحلي
–رحلة ابن جبير أنموذجا -

إعداد الطالب (ة): إلهام بكوش إشـــراف:د.وردة محصر

لجنة المناقشة		
أ. الدكتور	عبد *الرحمن* فارسي	رئيسا
أ. الدكتور	عبد القادر بن عزة	ممتحنا
الدكتورة	وردة محصر	مشرفة و مقررة

العام الجامعي :1440-1441هـ /2018-2019م

أصحاب الأحلام الكبيرة
لا تهمهم متاعب الرحلة
ولكن المهم أن يصلوا
فاروق جويدة

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى من قال في حقّهما الرّحمن
" و بالوالدين إحسانا " أبي و أمي
إلى إخوتي الأعزاء و على رأسهم فخر عائلة بكوش أختي
الغالية الدكتورة أسية التي كان لها الفضل في وُلوجي الحرم
الجامعي من جديد .
إلى أخي أبو الأنوار وعائلته
إلى أخي بن عمر وعائلته
إلى أخي العزيز رمزي
إلى رموز المودّة و الوفاء إلى جميع صديقاتي
إلى رئيسي في العمل السيد سليم وشاني
إلى مديري السابق إبراهيم بلخضري
إلى كل زميلاتي في العمل و أخصّ بالذكر الأستاذة شريف هِدايات
و الأستاذة بورسالي سعاد
إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث العلمي

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلّم : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله."

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فالحمد و الشكر لله على توفيقه لي لإتمام هذا البحث

أتقدّم بأخلص كلمات الإمتنان و العرفان إلى من شرّفتني بإشرافها على مذكرة بحثي الأستاذة الدّكتورة وردة محصر على صبرها و توجيهاتها العلمية و الشكر موصول إلى الأستاذ الدّكتور عبد القادر سلامي و الدّكتورة أمينة بلهاشمي و اللذين كانا سند قويا لي فكلما دبّ اليأس في نفسها زرعا في الأمل و العزيمة للمواصلة قُدُما .

كما لا يفوتني أن أقدم جزيل شكري للأستاذ بن حميدة الغوتي إلى كل أساتذتي بكلية اللغة و آدابها و لا أنسى أن أتقدم بتشكراتي لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل.

إلى من وقف بجانبي و مد لي يد العون من قريب أو بعيد

مقدمة

عَرَفَ الإنسانُ الرِّحلةَ منذُ القِدمِ، فهيَ لَيستْ وَليدةَ الحَاضرِ بَلْ جُذورهَا ضَاربةٌ في التّارِيخِ منذُ أن أنزَلَ الله تَعالَى سيّدَنَا آدمَ وزوجُهُ حوّاءَ الأرضَ، فكَانتِ أوّلَ رحلةٍ قامَ بهَا الإنسانُ مِنَ الجَنّةِ إلى الأَرضِ، علَى اعتِبَار أنَّ الرِّحلةَ هي نَقلةٌ من مكانٍ لآخرَ.

وأدبُ الرّحلةِ هو فنٌّ مُتميّزٌ يُصوّرُ الرِّحالةُ الكاتبُ فيهِ كلّ الوقائعِ والأحداثِ الّتي صادفتهُ أثنَاءَ رِحلةٍ قامَ بهَا نحو الأراضِي الّتي حطَّ رِحالهُ فيهَا.

وتعدُّ كُتبُ الرَّحلاتِ من أهمِّ المصادرِ الأدبيّةِ والثّقافيةِ والجغرافيةِ والتّاريخيةِ والاجتماعيةِ، ذلك أنَّ الكاتبَ يُقدِّمُ لنَا معلوماتٍ وحقائقَ مِن مُشاهداتٍ حيّةٍ مباشرةٍ، فهوَ يَنقلُ لنَا مُواصفاتِ الطبيعةِ غيرِ المكتشفةِ، كمَا يَسردُ لنَا عاداتِ وتقاليدِ الشعوبِ التي عاشَ على أرضهَا.

ولعلَّنَا لا نُبالِغُ إذا قُلنَا إنّ أَقدمَ نماذجِ هذا الأدبِ رحلةُ ابن جبير الموسومَةِ: **تَذكرَةٌ بالأخبَارِ عن اتّفاقاتِ الأسفارِ**، حيث استطاعَ من خلالهَا أن يحملنَا إلى أماكنَ ترحالهِ ناقلاً لنا انطباعاتهِ حولَ ما شاهدهُ وما رُوِيَ لهُ.

تُعدُّ رحلةُ ابن جُبير صورةً شاملةً لأوضاعِ المسلمينَ في المشرقِ العربيّ في القرنِ السادسِ الهجريّ، وذلك لضمّهَا معارفَ عديدةً، حيثُ سجّلَ لنا كلّمَا لمحتهُ عينهُ، فعرّفنَا على ثقافةِ الناسِ في ذلك العصرِ وطريقةِ تفكيرِهم إضافةً إلى نمطِ عيشهِم.

واشتملَت رحلتهُ أيضا على العديدِ من الشّخصياتِ التاريخيةِ ،أهمّها: **صلاحُ الدّين الأيوبيّ والنّاصرُ صلاحُ الدّينِ** وغيرهمَا.

ولم تكُن المرأةُ فيهَا مغيبةً، فقد كانَ الرحّالةُ يكشفُ عن تفاصيلِ حياتهَا وعاداتهَا وتقاليدهَا ومكانتهَا في المجتمعاتِ الّتي وصلَ إليهَا، فمِنهَا ما لَقيَ اسْتحسَانهُ فَمدحَهُ، ومنهَا ما استَهجَنَهُ فامتَعضَ منهُ، ومن النِّساء مَن فارقتِ الحياةَ فاكتفَى بوصفِ قبورهنّ وديارهنّ وآثارهنّ ذاكراً مآثرهنّ وترحّمَ عليهنّ؛وأخرياتٍ كُنَّ على قيدِ الحياةِ من حاكماتٍ وجارياتٍ وغيرهنَّ، وكان في تصويرِهِ المفصّل والدّقيق للمرأةِ ما يجعلهَا حيّة ناطقةً أمامنَا.

على أنّ ما دعانِي إلى اختيارِ موضوعِ المرأةِ وتجلياتهَا في أدبِ الرّحلةِ دوافعَ ذاتيّة وأخرى موضوعيّة. فكان الدّافع الذّاتي ميلي للبحثِ في هذا النّوع الأدبيّ والذي أثارَ فضُولِي للتّعرف عليه أكثر.

أمّا الدّوافعُ الموضوعيّةُ ، فتَمثّلت في تميّزِ مَوضُوعه عن دراسات سبقتهُ لم تُعطِ صورةَ المرأةِ حقّها من الدّراسة في رحلةِ ابن جبير قاصرةً إيّاهَا على دورِ رحلتهِ في رسمِ أشكالِ التواصلِ بين الحضاراتِ أو وصفِ المجتمعِ الإسلاميّ فيهَا.

ومِن خلال بحثِي هذا حاولت أن أرصُدَ: مكانةَ المرأةِ في رحلةِ ابن جبير؟ ومَن هي المرأةُ الّتي احتضَنتهَا رِحلتُه في أبعادهَا التّاريخيّة والخضاريّة؟ وكيف تمّ تصويرُ ابن جبيرَ لهَا؟

وَوِفقًا لما اقتضَاهُ هذا البحثُ ونظرًا لطبيعةِ موضوعهِ قسّمتُ بحثِي إلى مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وفصلينِ وخاتمةٍ.

رَكّزتُ في التّمهيدِ على ضبطِ المصطلحاتِ التي اعتمدتهَا في الدّراسة وذلك بتحديدِ مفهومِ الرّحلةِ والوُقوفِ على أنواعهَا وأهميّتها وكذا التّعريف بابنِ جبير ورحلتهِ وأهميّتهَا المعرفيّةِ.

أمّا الفصلُ الأوّل ، فوسمتُهُ بِصورةِ المرأةِ في أدبَ الرّحلاتِ ومآثرهَا المكانيّة في رحلةِ ابن جبير فتناولتُ فيهِ مفهومَ صورةِ المرأةِ وأنواعهَا، إضافةً إلى المرأةِ والمكانِ في رحلتِهِ وعلاقتِهَا به .

أمّا الفصلُ الثّاني، فَأفردتُهُ للمرأةِ وسياقاتِ ظهورهَا في رِحلةِ ابنِ جبير على اختلافِ صورهَا في مختَلفِ الأمصَارِ الّتي زارهَا أو أقَامَ بِهَا.

وذيّلتُ بحثِي بخاتمةٍ ضمّمتُهَا أهمَّ النّتائجِ الّتي تَوصّلتُ إليهَا إضافةً إلى فَهرسيْن أحدُهمَا للمصادِرِ والمراجعِ وأخرٌ للموضوعاتِ.

وقد اقتضى البحثَ المنهجيْنِ الوصفيّ والتّاريخيّ بمَا يَكفلُ الوَصفَ و التّصنيفَ، وذلك بالوُقوفِ على مواطنِ ذكرِ المرأةِ معَ تحليلٍ لبعضِ الشّخصياتِ انطلاقًا من مكانِ تواجُدِهَا والواقعُ الّذي عايَشتهُ وِفقَ تسلسُلِ الأحدَاثِ في رِحلةِ ابنِ جبير.

وقد اعتمَدتُ في هذا البحثِ جملةً من المصادرِ والمراجعِ القديمةِ منهَا والحديثةِ، فكانت: رحلة ابن جبير المسمّاةِ **تذكرة بالأخبار عن اتفاقاتِ الأسفارِ** لأبي الحُسين محمّد بن أحمد بن جبير الأندلسيّ أهمّهَا على الإطلاقِ باعتبارهَا متنَ هذه الدّراسةِ و مصدرهَا الأساسَ ، وذلك لنَقلِ صورةِ المرأةِ الّتي تضمّنتهَا رِحلتهُ والوقوفَ على مَواطِنِ ذِكرهَا في مُختلفِ الأمصَارِ.

أمّا المراجعُ، فأذكر منهَا: **أدب الرِّحلة في الأدبِ العربيّ** لفؤاد قنديل، و**الرّحلات** لشوقي ضيف، و**الرّحلة إلى المشرقِ** لسميرة آنساعد، إضافة إلى **الرّحلات المغربيّة الأندلسيّة** لعواطف يوسف نواب، و**أدبُ الرّحلةِ في المغربِ والأندلسِ** لعليّ إبراهيم الكرديّ.

و إنْ لم يكن بُدٌّ مِن ذِكر بعضِ الصعوباتِ الّتي اعترضت سبيلَ هذا البَحثِ فإنّني اذكر صعوبةَ الوصولِ إلى المراجِع الّتي تناولت الموضوعَ وقِلتّهَا.

ولئِن كنتُ لا أزعمُ في بحثِي هذا أنّني أحطتُ بكلّ جوانبِ الموضوعِ ، ولا أدّعِي عدمَ حاجتِهِ للمزيدِ من الدّراسة والتّوسّع ، فإنّني أرجُو أن يَكونَ فاتحةً لدِراسَات أخرى تفِي بالمطلوبِ, والله من وراءِ القَصدِ وهُو يُهدِي السّبيلَ.

إلــهــام بـكـوش

الرمشي في: 2019/06/25م

تمهید

ابن جبير ورحلته

أولا: ابن جبيرحياته وثقافته

1مولده

2.زواجه

3شيوخه و ثقافته وأخلاقه

4وفاته وآثاره

ثانيا: مفهوم الرحلة

1. الرحلة لغة
2. الرحلة اصطلاحا

ثالثا: أنواع الرحلات

1. الرحلات الدينية
2. الرحلات العلمية
3. الرحلات التجارية
4. الرحلات السياحية
5. الرحلات الرسمية

رابعا: رحلات ابن جبير

1. الرحلة الأولى
2. الرحلة الثانية
3. الرحلة الثالثة

خامسا: أهميّة رحلة ابن جبير المعرفية

إن ارتباط الإنسان بأرضه ووطنه، لم يكن حاجزا يمنعه من التّطلع إلى التّرحال والتّجوال إما بحثا عن حرية أو رزق أو علم، "فالشّعوب لم تخلق من موضع واحد، ولكن الله فرقها وبثّ فيها المسافات، وغرس في الجميع في الوقت ذاته فطرة السّعي للتّعارف واللّقاء".[1]

كان هذا سببا من أسباب عمار الأرض، فالإنسان كالغيث أينما وقع نفع، يقول الله تعالى:﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.[2]

ولئن عَرَف العرب والمسلمون الرّحلة منذ القدم، "وقد بدأ انطلاقه منذ القرن الثّالث الهجري"،[3]إلاّ أنّ القرن السّادس الهجري وما يليه من أكثر القرون إنتاجا لأدب الرّحلات[4]، ومن أشهر الرّحالين العرب سعيد بن جبير الأندلسي، الّذي خصصناه بالدّراسة والتّحليل.

أولا: ابن جبير، حياته وثقافته:

1.مولده:

هو أحمد بن جبير بن محمد بن سعيد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبد السّلام بن مروان بن عبد السّلام الكناني[5]، رحالة أندلسي شاطبي الأصل، كان جده عبد السّلام من أوائل الدّاخلين إليها مع بلج القشيري.[6]

ولد ابن جبير ليلة السّبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة 540 هـ - 1145م وعُني أبوه بتربيته.[7]

1 فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002، ص 22.

2 سورة هود: الآية 61.

3 عواطف محمد يوسف نواب: كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز، دار الملك عبد العزيز، د.ط، 2008، ص 99.

4 ينظر: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، المرجع السابق ،ص 75.

5 الدكتور إحسان عباس وآخرون: الذيل والتكملة، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، ص 269.

6 عواطف يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د.ط، 1992م، ص 97.

7 شوقي ضيف: الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119م، ص 70.

2.زواجه:

غادر أبو الحسن بن جبير مدينة شاطبة وانتقل إلى جيان وفيها تزوّج الفاضلة عاتكة المدعوة بأم مجد (...) وقد وجد فيها الزّوجة الصّالحة المخلصة الصّابرة، فهي الّتي ساعدته في تخطي صعاب الحياة ووفرت له أسباب السّعادة[1]، كان له ثلاثة بنين: عبد الله، محمد وعبد الملك.[2]

3.شيوخه وثقافته وأخلاقه:

أخذ العلم عن أبيه وعن علماء عصره، منهم: أبو عبد الله الأصيلي، أبو الحسن بن أبي عيش الذي تعلم على يده القراءات، وقد اشتهر ابن جبير بالفقه والرّواية والحديث والتّصوف.[3]

"كما درس العلوم الدّينية واللّغوية، ولم يلبث أن تيقظت فيه مواهبه الأدبية فأخذ في قرض الشعر، ولع اسمه فألحقه حاكم غرناطة أبو عثمان سعيد بن عبد المؤمن بكتاب ديوانه".[4]

شغل ابن جبير منصب كاتب لدى حاكم غرناطة لذلك العهد ولم يكن هذا ببعيد عنه، فهو أديب وشاعر فقد "ضرب بسهم في الكتابة النّثرية، وقطع شوطا في قرض الشّعر"[5]، زد على ذلك أخلاقه العالية وتحليه بالنّزاهة.

4.وفاته وآثاره

توفي ابن جبير "بالاسكندرية ليلة الأربعاء التاسع والعشرون لشعبان سنة 614هـ-1217م "[6] ولم يترك وراءه سوى رحلته التي اشتهر بها والمعروفة ب **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار** و "ديوان شعر يعرف بنظم الجمان في التّشكي من اخوان الزّمان[7] "

1 ابن جبير: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دراسة وتحقيق رشيد العفاقي، الرباط، المغرب، ط1، 1435هـ-2014م، ص23

2 أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي: تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، د.ط، د.ت.

3 ينظر: ابن جبير: رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت، 1959م، ص 5.

4 شوقي ضيف: الرحلات، المرجع السابق ،ص 70.

5 ابن جبير: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، المرجع السابق ، ص 26.

6 عواطف يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، المرجع السابق، ص 98

7 المرجع نفسه ، ص99

ثانيا :مفهوم الرحلة:

1-الرحلة لغة:

إذا توقفنا عند لفظة "رَحَلَ" في المعاجم القديمة نجدها احتفت بوافر الشّرح، كما ورد في لسان العرب "رَحَلَ: الرّحْلُ مركب البعير وجمعه أَرْحُلٌ ورِحَالٌ، والرَّحَّالَةُ فهي أكبر من السّرج، وتغشى بالجلود، رَحَلَ الرجل إذا سار، ورَجُلٌ رَحُولٌ وقومٌ رُحَّلٌ أي يرتحلون كثيرا، التَّرَحُّلُ والارتِحَالُ: الانتقال".[1]

وقد تكرر هذا المفهوم للرحلة بنفس المعنى في معظم المعاجم، فنجده في قاموس المحيط للأبادي: ارتَحَلَ البعير: سَارَ ومَضَى، الارتِحَال: الوجهُ الّذي نقصده والسّفرة الواحدة، القوم عن المكان: انتقلوا.[2]

وبنفس المعنى أشير إليها في القرآن الكريم في سورة قريش، فيقول الله تعالى: ﴿لِإِيلاَفِ قُرَيْشٍ إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.[3]

إذن تجمع معاجم اللّغة على أن الرّحلة هي الانتقال من مكان لآخر.

2-الرّحلة اصطلاحا:

إن إعطاء تعريف واف وشامل للرحلة ليس بالأمر الهين فهو ككرة الخيط المتشابكة الّتي يصعب علينا الإمساك بطرفها، فالرّحلة تتشابك مع التّاريخ والجغرافيا، التّصوف والأدب والسّيرة الذاتية

1 أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، مج 3، مادة(ر ح ل)، دار صادر، بيروت، ص 50-51.

2 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط،مادة (ر ح ل) ،تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005م، ص 1005.

3 سورة قريش: الآيتان 1-2.

والحكايات، وهو ما سمح "بصعوبة القبض على تعريف يجمع في حده زخم الخصوصيات والتنويعات في النصوص الرّحلية العربية".[1]

عرّفها الإمام الغزالي: "أنها نوع من الحركة"[2]، أي أن الإنسان لا يسافر إلا في غرض وهذا الأخير هو المحرّك والدّافع للحركة والانتقال.

وعرّفها بطرس البستاني بقوله: "انتقال واحد – أو جماعة – من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة".[3]

تكاد تجمع كل التّعاريف على أن جوهر الرّحلة هي الحركة وهي لا تشمل المستوى البدني فقط بل تتعداه إلى كافة المستويات حتى تنعكس على وصف الرّحلة إيجابيا، وللرّحلة دوافع أساسية تتمثل في الدّوافع الذّاتية والدّوافع العامة، فأما الذاّتية فهي أهم جزء تبنى عليه الرّحلة، أما العامة فتكون مبررا للقيام بتلك الرحلة.[4]

إذن فالرحلة هي كتابة يقصّ من خلالها الرّحالة مشاهداته وأحداث سفره، ويتطلب ذلك منه مستوى ثقافي يؤهله لنقل أحداث رحلته.

ثالثا :أنواع الرّحلات:

لقد كان لاتّساع رقعة أراضي الخلافة الإسلامية الذي حققته دولة الإسلام، أن ظهرت الحاجة إلى الرحلة لدوافع عديدة من أهمها الحجّ، طلب العلم والتّجارة والفضول اتجاه الأقوام والأمم والبلدان الأخرى[5]، ومن هنا تنوعت الرّحلات بتنوع دوافعها.

1 شعيب خليفي: الرحلة في الأدب العربي، التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، مكتبة الأدب المغربي، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص 68.

2 أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2، دار الكتب العربية، د.ت، د.ط، ص 217.

3 ناصر عبد الرزاق موافى: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات، مكتبة الوفاء، مصر، ط1، 1995م، ص 23- 24

4 ينظر: المرجع نفسه، ص 25-26.

5 رشا الخطيب، صورة الآخر في أدب الرحلة ، مجلة العرب، ج7، ج8، سنة 43.

1-الرّحلات الدّينية:

وأهمها الرّحلة بقصد البقاع المقدسة، يقول الله تعالى:﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾.[1]

فالحجّ فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ما استطاع إليه سبيلا، وهي أعظم رحلة يقوم بها الإنسان ويتشوّق لأدائها، وفيها يقوم الرّحالة بتدوين الطّريق الّتي سلكوها والمواقف الّتي عاشوها والأماكن الّتي زاروها، مع شرح مفصّل لكلّ ركن من أركان الحجّ.

وكان الرّحالة يتكبدون مشقة كبيرة بغية زيارة قبر النّبي الكريم "وإذا كان الحجّ فريضة على كلّ مسلم وكان المسلمون يتجشمون راضين كل مشقة في سبيل أداء هذه الفريضة وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة".[2]

وأشهر رحلات الحجّ رحلة ابن جبير، محمد العبدري، وابن بطوطة.[3]

2-الرّحلات العلميّة:

لقد أخذ العلم على مر العصور والأزمنة مكانة متميّزة بين النّاس وقد أعلو شأنه وجعلوه وسيلة للتّفاخر بينهم، فهو بحر واسع مهما نهلت منه لا ينضب، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.[4]

فطالب العلم عليه بالتّنقل والحركة قصد ملاقات المشايخ وأهل العلم، وهذا ما قاله ابن خلدون في مقدمته "فالرّحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال".[5]

1 من سورة الحج (22)، الآيتان 27-28.

2 شوقي ضيف: الرحلات، المرجع السابق ،ص 09.

3 سميرة آنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، دط ، 2009 ، ص 22.

4 من سورة طه (20): الآية 114.

5 عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي: مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 2009م، ص 481.

ويقول الله تعالى:﴿يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُواْ يَفْسَحُ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيل انْشُزُواْ فَانْشُزُواْ يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ ءَامَنُواْ مِنْكُمْ وَالذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[1]

إنّ ما شهده ابن جبير في بلاد المشرق من تطوّر ألهمه بدعوة المغاربة لزيارتها والنّهل من علمها إذ قال: "فمن شاء الفلاح(...)فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرّب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة(...)فهذا الشّرق بابه مفتوح لذلك فادخل أيّها المجتهد بسلام".[2]

3-الرّحلات التّجارية:

ليس الحجّ وحده من دفع المسلمين إلى التّنقل والتّرحال، بل إن التّجارة أيضا كانت من أهم الدّوافع الّتي اقتضت السّفر، حيث كانوا يجوبون البّر والبحر لنقل بضائعهم وتأمين قوت عيشهم، كما أنّها لا تزال ليومنا هذا تلعب دورا مهما في التّطور الاقتصادي للدّول وذلك من خلال التّبادلات التّجارية.

4-الرحلات السياحية:

وتكون عادة لتغيير حالة الرّتابة الّتي يعيشها الإنسان دون اهتمام للمكان المقصود بالرّحلة، كما أن هدفها الرئيس التّرويح عن النّفس لا غير، "لقد سعى بعض الرّحالة إلى البّحث عن الحريّة والاجتياز المكاني، حيث المهم هو السّفر لا المكان الّذي يرتحل إليه، فالدّافع القابع وراء القيام بهذه الرّحلة هو التّمتع بالحياة والوصول إلى مواطن الجمال في كلّ مكان والرّغبة في اكتشاف ما لم تره العين".[3]

1 من سورة المجادلة (58)، الآية 11.

2 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المرجع السابق ،ص 258.

3 جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، اشراف الأستاذ محمد بن لخضر فورار،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م، ص 28.

5-الرّحلات الرّسميّة:

وتسمى أيضا الرّحلة السّفارية، وهي تمثيل دبلوماسي يكون بتكليف من السّلطة الحاكمة كنقل تعليمات أو رسائل شفهيّة أو كتابيّة، وهي خاصّة بـ "تفقد أمر الرّعية أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الاتيان بأخبارها، فقد تكون في إطار التّجسس أو الاستطلاع".[1]

رابعا :رحلات ابن جبير

قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق حج فيها ودخل الشّام والعراق... وغيرها، وقد عزم على القيام بهذه الرّحلات بعد ما حدث له مع صاحب غرناطة حيث قال ابن الرقيق: "كتب في أول أمره عن السّيد أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمدّ يده إليه بكأس، فأظهر الانقباض، وقال: يا سيدي ما شربتها قطّ، فقال: والله لتشربّن منها سبعا، فلما رأى العزيمة شرب سبع كؤوس، فملأ له السّيد الكأس من دنانير سبع مرات وصبّ ذلك في حجره، فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفّارة شربه الحجّ بتلك الدّنانير.[2]

وهي حادثة لا يمكننا الجزم بها إذ "لا يمكننا الاطمئنان إلى صحة الخبر لأن ابن جبير شرع في رحلته سنة 578هـ/1182م وكان الأمير أبو سعيد قد توفى سنة 571هـ/1179م، فمن المحال أن يكون الحجّ قد جرى في السّنة نفسها ومن المستبعد أن يكون الحجّ لهذا السبب لما بين التّاريخين من مدة طويلة".[3]

صور لنا ابن جبير كلّ ما صادفه في طريق رحلته حيث "عني بالنّواحي الدّينيّة فاهتم بذكر مشاعر الحجّ بالتّفصيل (...)، كما عني بالمظاهر الجغرافيّة من سهول وجبال وبحار (...)، وأجناس

1 سميرة آنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، المرجع السابق، ص 20.

2 المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الجزء 3، ط1، 1419هـ-1998م، ص 15.

3 علي إبراهيم الكردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس،مطابع الهيئة العامة السورية ، ط 1، 2010 م ، ص 32

النّاس وصناعاتهم (...) ولم يغفل عن تصوير العلاقات التّجارية بين المسلمين والمسيحيين إبان الحروب الصّليبية (...)، ويلفت نظرنا عناية ابن جبير بالبحث عن المدارس والمارستانات".[1]

ومن خلال هذه النّظرة الخاطفة لرحلة ابن جبير نلحظ أنه لم يترك تفصيلة واحدة صغيرة أم كبيرة دون أن يتحدث عنها ويصفها وصفا دقيقا، برسمه لنا الحياة بكل تجلياتها في ذلك العصر.

1-الرّحلة الأولى:

انطلق ابن جبير من غرناطة يوم الخميس الثامن من شهر شوال عام 578هـ، ركب السّفينة و قضى في البحر من سبتة إلى الإسكندرية نحو ثلاثين يوما، هذه الأخيرة الّتي أخذت نصيبها من الوصف[2]، فقال عنها: "فأول ذلك حسن وضع البلد واتّساع مبانيه، حتّى إنّا ما شاهدنا بلدا أوسع مسالك منه ولا أعتق ولا أحفل منه".[3]

وكان أوّل ما لفت انتباه ابن جبير منار الإسكندرية فقال: "ومن أعظم ما شاهدنا من عجائبها المنار الّذي قد وضعه الله عزّ وجلّ على يدي من سخر لذلك آية للمتوسمين، وهداية للمسافرين".[4]

ثم توجه إلى القاهرة واصفا المارستانات قائلا: "هو قصر من القصور الرّائعة حسنا واتّساعا وأبرزه لهذه الفضيلة (...) ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرّة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيّم خدمة يتكفلون بتفقّد أحوال المرضى بكرة وعشيّة".[5]

1 علي إبراهيم الكردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس ،المرجع السابق ، ص 32-33.

2ينظر : فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، المرجع السابق ، ص 386.

3 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المرجع السابق ، ص 14.

4 ابن جبير: المصدر نفسه ، ص 14.

5 المصدر نفسه ، ص 26.

ثم وصل "قوص" بصعيد مصر فعيداب حيث اجتاز البحر إلى جدّة ومنها إلى مكة، فأدى فريضة الحجّ وكان هذا أهم جزء في رحلته وهو وصف مكة والبيت الحرام ومناسك الحجّ وزيارة المدينة.[1]

فيصف مكّة قائلا: "كأنّها عروس جليت في السّندس الأخضر، أمتع الله بالنّظر إليها كلّ مشتاق إلى لقائها".[2]

ولما ارتوى اتّخذ الطّريق النّجدي إلى الكوفة فزار بغداد فالموصل، وكان في كلّ مدينة يصلها يسكن ويلاحظ ويسجل، ثم انتقل إلى الشّام مرورا بالمستعمرات الّتي كانت بحلب وحمص وحماه.[3]

كما ذكر صقلية قائلا: "طول هذه الجزيرة سبعة أيام، وعرضها مسيرة خمسة أيّام وبها جبل البركان المذكور (...) وخصب هذه الجزيرة أكثر من أن يوصف (...) وكفى بأنّها ابنة الأندلس في سعة العمارة (...) مملوءة بأنواع الفواكه وأصنافها".[4]

وبعدها رحل ابن جبير عن صقليّة على ظهر سفينة إلى قرطاجنّة فوصل إليها في الخامس عشر من محرم 571هـ، واستمر في السّفر حتّى وصل غرناطة بعد غياب سنتين وثلاثة أشهر.[5]

وهذه الرّحلة هي الوحيدة الّتي ترك لنا تفاصيلها حيث اطلع بعض تلاميذه على هذه الأوراق، فعكفوا عليها يجمعونها وينسخونها، وقد نشرت بعد ذلك تحت اسم "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار".[6]

ويقول كراتشوفسكي أنّها اتخذت عدّة تسميات فيقول: " وعنوانه غير معروف لنا بالضّبط ويوجد له عنوانان تغلب الصّنعة فيهما كتاب "اعتبار النّاسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك"،

1 ينظر: زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، ط1، 2012م، ص 61-62.

2 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المرجع السابق، ص 158.

3 ينظر: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، المرجع السابق ،ص 386.

4 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المرجع السابق ،ص 296-297.

5 ينظر: زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، المرجع السابق ،ص 67.

6 ينظر: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، المرجع السابق، ص 387.

و"تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" (...) ويمكن القول بأن العنوان بكلّ بساطة "رحلة الكناني" نسبة لقبيلته.[1]

وهي اليّوم وفي عصرنا الحالي تعرف برحلة ابن جبير ومهما يكن من أمر أو اختلاف في التّسميات فإنّ هذه الرّحلة تعتبر اليّوم من المصادر النّفيسة الّتي لا غنى عنها لكلّ من أراد الاطلاع على أحوال تلك الحقبة.

2-الرّحلة الثّانية:

كان الدّافع لها، ما بلغه من أخبار فتح صلاح الدّين لبيت المقدس (...) فكان خروجه من غرناطة للمرة الثّانية يوم الخميس التّاسع من ربيع الأوّل عام 585هـ، وتمكن خلالها من أداء فريضة الحجّ[2]، واستمرّت هذه الرّحلة سنتين.[3]

3-الرّحلة الثّالثة:

بدأها من سبتة سنة 601 هـ وكان عمره آنذاك الثّالثة والسّبعين، عقب وفاة زوجته السّيدة عاتكة وقد أحزنه كثيرا فراقها، ولم يرجع إلى مسقط رأسه بعد هذه الرّحلة، ولكنه لبث فيها عشرة أعوام متنقلا بين مكّة وبيت المقدس والقاهرة والإسكندريّة، حيث اشتغل بالتّدريس والأدب حتى وافته المنيّة.[4]

خامسا :أهميّة رحلة ابن جبير المعرفية:

تكمن أهمية الرّحلات في قيمتها العلميّة والفنيّة فهي تقدّم لنا معلومات قيمّة عن وصف المدن والطّرق والعمران، "إلى جانب الأهميّة الجغرافيّة والتّاريخية الّتي تتجلى لنا من خلال مصنّفات الرّحالين

1 كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ج1، 1957م، ص 299-300.

2 عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، المرجع السابق، ص 101.

3 عبد الرحمان حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، د.ب، ط1، 1974م، ص 140.

4 عبد الرحمان المرجع نفسه ، ص 410.

العرب (...) بما أسهمت به من مادة غزيرة وقيّمة"[1]، كما أنّها "تكتسي أهميّة كبيرة في رصد الحياة الثّقافية والاجتماعيّة للشّعوب، وتصوير حضارتهم وطرق عيشهم لذا كان للرّحلات قيمة تعليميّة من حيث أنّها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين".[2]

وتعود أهميتها على الرحالة أنفسهم إذ يحصلون على تجارب كثيرة في مختلف الميادين "ولا نغفل في هذا الموضوع الفوائد التي قد ترجع على الرحالة المؤلف ذاته، من اكتساب للتّجربة والدّربة في مجال التّأليف، والتّنويع الأسلوبي في مجال التّعبير الأدبي".[3]

فالرّحلة لا تعود بالنّفع على الرّحالة نفسه فقط، بل إنّها تساعد الجغرافيّ في وصف المناطق والجبال والطّرقات وغيرها، كما تقدم خدمة لعلماء التّاريخ في معرفة حقب غابرة وكذا بالحياة الثقافية والاجتماعية لسكان تلك الفترة.

ويعدّ الرّحالة ابن جبير الأندلسي من أهمّ الرّحالة المسلمين الّذين قاموا برّحلات إلى المشرق العربي، ورحلته الشّهيرة الموسومة بـ "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" أو "رحلة ابن جبير"، والّتي وثقّ فيها كلّ مشاهداته باليّوم والشّهر والسّنة الهجرية والميلادية منارة يستفيد بها كلّ باحث في مجاله أكان تاريخيّا أو اجتماعيّا أو جغرافيّا أو ثقافيّا، والّتي وصفها الدّكتور حسني محمود حسن بقوله: "إن هذه الرّحلة تحوي بعض المعلومات الّتي لا يستغني عنها مؤرّخ أو جغرافي أو أديب يريد أن يدرس هذه الفترة المهمّة من حياة الشّرق الإسلامي".[4]

فقد أفادت العديد من المؤلفين المغاربة والأندلسيين ممن جاؤوا بعد الرّحالة من بينهم: علي بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) مؤلف كتاب "في حلى المشرق"، ومحمد العبدري (ت 688هـ)

1 سميرة آنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، المرجع السابق ، ص 39.

2 حسين فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، يونيو 1988، د.ت، د.ط، ص 19.

3 ينظر: سميرة آنساعد، المرجع السابق ، ص 39.

4 حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983، ص 32.

صاحب كتاب "الرّحلة المغربية"، وابن رشد السّبتي الأندلسي (ت 711هـ) مؤلف كتاب "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة".[1]

1 سميرة آنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الأول
صورة المرأة في أدب الرّحلات
ومآثرها المكانية
في رحلة ابن جبير

أولا: صورة المرأة في الأدب الرحلي وأنواعها:

1. الصورة القريبة من ذات الرحالة

2. الصورة المثيرة لاستغراب الذات الراحلة

3. الصورة البعيدة عن مرجعيات الرحالة

ثانيا: المرأة والمكان في رحلة ابن جبير

1- المكان بين اللغة والاصطلاح

1.1- المكان لغة

2.1- المكان اصطلاحا

2- أنواع المكان

1.2 أمكنة مفتوحة

2.2 أمكنة مغلوقة

* أماكن موحشة

* أماكن أليفة

ثالثا: علاقة المرأة بالمكان في رحلة ابن جبير

1.حواء أم البشرية وألفة المكان

2.آسيا امرأة فرعون ووحشة المكان

3.خديجة أم المؤمنين وألفة المكان

4.عائشة أم المؤمنين وانغلاق المكان

5.فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وألفة المكان

6.زبيدة زوجة هارون الرشيد وانفتاح المكان

أولا: صورة المرأة في أدب الرحلة وأنواعها:

يعدّ أدب الرّحلة خطابا اجتماعيا بالدّرجة الأولى، وقد مثّلت المرأة فيه جزءا مهمّا حيث: "تشكّل المرأة عنصرا مهمّا في هذا الخطاب الاجتماعي للرّحالة لأن صورتها تمثّل واقع الأنا والآخر في الجوانب الثّقافية والاجتماعية والدّينية وغيرها من مجالات الحياة"[1]، ولا نغفل صورتها التّاريخية الّتي من خلالها تعرف ثقافات الشّعوب وذهنياتهم، وخاصة ما تعلّق بدور المرأة "لاسيما وأن صورة المرأة في التّاريخ تعدّ من أبرز المجسّات الثّقافية المعاصرة لمعرفة البنية الذّهنية للمجتمعات ذات الصّلة بدور المرأة ووضعها في المجتمع".[2]

فالمرأة قلب المجتمع النّابض، وقد حاول النّقاد والأدباء إعطاء مفهوم لصورة المرأة، ولعل أهمه ما جاءت به صاحبة صورة المرأة في أدب الرّحلات: "إن استقراء نصوص الرّحلات ذات الصّلة بالمرأة منذ القرن الرّابع الهجري إلى نهاية القرن الثّامن الهجري يشير إلى أن مفهوم صورة المرأة في نصوص الرّحلات يعني الخطاب".[3]

والمقصود بالخطاب "كل تلفظ يستوجب وجود متحدث ومستمع"[4]، "فهو الوسيط اللّساني في نقل مجموعة من الأحداث الواقعية التّخييلية الّتي أطلق عليها (جنيت) مصطلح الحكاية".[5]

هذا الخطاب الرّحلي الّذي تباينت فيه آراء الرّحالة حول تقديم صورة المرأة "فقد كان تركيز الغالبية العظمى منهم على وضع المرأة وأفعالها وارتباطها بمجريات أحداث زمانها".[6]

---

[1] أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلات، من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (الرؤيا والتشكيل)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة مؤتة، 2016م، ص 12.

[2] مقال أحمد علي السري: صورة المرأة في كتب الرحالة في عصر الحضارة الإسلامية، دورية كان التاريخية (علمية، عالمية، محكمة)، العدد 31، مارس 2016م، ص 09.

[3] أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلات، المرجع السابق ،ص 12.

[4] نقلا: لامية بوداود: تحليل الخطاب الميني روائي في الجزائر رواية (أوشام بربرية) لجميلة زنير أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 13، عن محمد الباردي: إنشائية الخطاب في الرواية الحديثة، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004م، ص 1.

[5] نقلا: المرجع نفسه ، ص 14، عن جيرار جنيت: خطاب الرواية، ترجمة محمد معتصم وآخرون، منشورات الاختلاف، ط3، 2003م، ص 38-39.

[6] أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلات، المرجع السابق ،ص 17.

أي أنّهم ركّزوا في خطاباتهم على ما كانت تقوم به المرأة من أفعال أكثر من اهتمامهم بعرض مظهرها الخارجي، وإن ذكر عند بعض الرّحالة، فما كان إلا لتوضيح موقف ما يدعو لضرورة ذلك الوصف.

وقد اتّخذت صورة المرأة في كتب الرّحلة عدة أشكال اختلفت من رحالة لآخر "وذلك بالقياس إلى قربها أو بعدها من مرجعياتهم الثّقافية (...) واتّفاقها أو عدم اتّفاقها مع خلفياتهم الاجتماعية"[1]، فما اتّفق مع ذلك وصفوه ومدحوه، وما اختلف عن ذلك واجهوه بوابل من السّخط والتّذمر.

1. الصورة القريبة من ذات الرحالة:

وهي صورة تتماشى والخلفية الاجتماعية والمرجعية الثّقافية للرّحالة، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة نذكرها على سبيل المثال لا الحصر.

ما قاله ابن بطوطة*[2] عن النّساء من بني شيراز الواقعة بإيران، فيقول: "وأهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف وخصوصا نساؤها، وهن يلبسن الخفاف، ويخرجنّ ملتحفات متبرقعات، فلا يظهر منهنّ شيء، ولهن الصفات والإيثار ومن غريب حالهنّ أنهنّ يجتمعنّ لسماع الواعظ في كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الأعظم".[3]

ويزيد إعجابه بالمرأة اليمنية في صبرها وتحملها للمسؤولية حتّى عند غياب زوجها: "وتخرج النّساء ممتطيات الجمال في المحامل ولهنّ مع ما ذكرناه من الجمال الفائق والأخلاق الحسنة والمكارم، وللغريب عندهنّ مزية ولا يمتعن من تزوجه كما تفعله نساء بلادنا، فإذا أراد السّفر خرجت معه وودعته وإن كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه ولا تطالبه في أيّام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها"[4].

---

[1] أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلات ،المرجع نفسه ، ص 17.

*هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي أبو عبد الله بن بطوطة، رحالة مغربي (703هـ-1304م) صاحب كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

[2] زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، المرجع السابق ،ص 101)

[3] ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص 223.

[4] المصدر نفسه :ص 272-273.

ومن الصّور المألوفة ما ذكره الإدريسي*[1]عن نساء النّوبة وتهافت الملوك على شراءهنّ، فيقول: "وإن الجارية منهنّ ليبلغ ثمنها ثلاث مائة دينار وأقل من ذلك ولهذه الخلال الّتي فيهنّ يرغب ملوك أرض مصر فيهن، ويتنافسون في أثمانهنّ، ويتخذونهنّ أمّهات أولادهم لطيب متعهنّ، ونفاسة حسنهنّ"[2].

ولابن فضلان*[3] نصيب من هذا النّوع من الصّور الّتي اعتبرها مألوفة لديه وهي خدمة الجواري في المجتمعات الإسلاميّة، إذ يقول: "وذلك أن الجارية توافي كلّ يوم بالغداة ومعها قصعة كبيرة فيها ماء، فتدفعها إلى مولاها، فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه (...) ثمّ يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئا من القذر إلا فعله في الماء، فإذا فرغ مما يحتاج حملت الجارية القصعة إلى الّذي بجانبه ففعل مثل صاحبه".[4]

وإن كانت هذه الصورة تنم عن قذارة ولا أخلاق الأسياد اتجاه جواريهم، ولكنّه رآها مألوفة؛ لأنه ما كان يسود ذلك العصر.

2. صورة المرأة المثيرة لاستغراب الذّات الرّاحلة:

ما من بد أن كلّ رحالة وأثناء رحلته وتجواله مرت به مشاهد كثيرة وخاصة ما تعلق بصورة المرأة التي أثارت استغرابه واندهاشه، ورغم ذلك فهو لم يواجهها بنقد لاذع، "ولما كان الرّحالة على وعي عميق باختلاف الثّقافات وتنوّعها، فلم يدفعهم ذلك إلى اتّخاذ ردّة فعل عنيفة أو مضادة لتلك المشاهد بل أثارت اندهاشهم واستغرابهم، لما انطوت عليه من ممارسات دينيّة أو اجتماعيّة".[5]

وقد التطقت عينا ابن فضلان مشاهد أثارت حفيظته كعدم احتشام المرأة التّركية والرّوسية، وهو ما لم يعتد على رؤيته، "كما يشير إلى ظاهرة تعدّد الزّوجات لدى ملك الخزرج إذ له خمسة وعشرون امرأة في حين أنّه في الإسلام لا يتم تجاوز الأربعة".[6]

---

*هو محمد بن محمد الشريف الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ولد يوم السبت في 493هـ/1100م.

[1] زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، المرجع السابق ، ص 51.

[2] الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المكتبة الدينية، بورسعيد، 2002م، ص 31.

* هو أحمد بن فضلان بن عباس بن راشد بن حماد، كان مولى لأحد الخلفاء العباسيين و هو صاحب كتاب رسالة ابن فضلان .

[3] زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، المرجع السابق ،ص 23

[4] أحمد بن فضلان بن عباس بن راشد بن حماد ،رسالة ابن فضلان، تحقيق د. سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية، دمشق،د.ط ،1960م

[5] أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلات، المرجع السابق، ص 22.

[6] بوشعيب الساوري: الرحلة والنسق دراسة في إنتاج النص الرحلي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 118.

وكذا عدم بكاء المرأة على الميّت عند الصّقالبة، فيقول: "ولا تبكي النّساء على الميّت، بل الرّجال منهم يبكون عليه يجيئون في اليّوم الّذي مات فيقفون على باب قبّته فيصيحون بأقبح بكاء وأوحشه"[1]، إذ في العادة أنّ المرأة هي من تبكي على فراق عزيز لها وذلك راجع لاختلاف العادات والتقاليد من مجتمع لآخر.

3. صورة المرأة البعيدة عن مرجعيات الرّحالة:

وهي صورة تتعارض مع شخصيّة الرّحالة وتعاليمه الدّينية حتّى أنّها قد تدخل ضمن دائرة المحرّمات في ديننا الحنيف "وتكون استجابته اتجاهها مصبوغة بالاستنكار الذي يخفي الحرج، ذلك أن الصّورة المشاهدة تدخل في نطاق المحرم أو الممنوع في ثقافته".[2]

وفي هذا الإطار يصف ابن بطوطة المرأة الإفرنجيّة في بلاد السودان، "وشأن هؤلاء القوم عجيب أمرهم غريب...، والنّساء هناك لهنّ الأصدقاء والأصحاب من الرّجال الأجانب، وكذلك للرّجل صواحب من النّساء الأجنبيّات، أحدهم داره، فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك".[3]

وهذا التّصرف ممنوع منعا باتا في تعاليم ديننا الحنيف ويواصل ابن بطوطة وصفه للنّساء النّبلاء ولعل أهمّها ما وقع له شخصيا، وما يتعلّق بالرّجل الّذي تنصّل من أخلاقه ونخوته، فيقول: "دخلت يوما على أبي محمد بندكانالمسوفي الّذي قدمنا في صحبته، فوجدته قّاعدا على بساط وفي وسط الدّار سرير مظلّل، فقلت له: "ما هذه المرأة؟ فقال هي زوجتي، فقال: وما الرّجل الّذي معها، فقال هو صاحبها، فقلت له أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا، وعرفت أمور الشّرع"، فقال:" مصاحبة النّساء للرّجال عندنا خير وأحسن طريقة لا تهمة فيها، وانصرفت عنه، فلم أعد إليه بعدها".[4]

وهو ما يستطع ابن بطوطة ان يستصيغهلانهيتنافى والأخلاق الإسلامية الحنيفة التي جبل عليها.

---

[1] ابن فضلان، رسالة ابن فضلان، المصدر السابق ، ص 98.

2 أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلة، المرجع السابق ،ص 24.

[3] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المصدرالسابق ،ص 687-688.

4 المصدر نفسه ، ص 688.

ثانيا: المكان في رحلة ابن جبير:

إن الإنسان منذ بدء الخليقة كان بحاجة إلى مكان يعيش فيه:

1. المكان بين اللغة والاصطلاح:

1.1- المكان لغة:

اجتمعت المعاجم على اختلافها، على معنى واحد للمكان وهو الموضع.

فجاء في لسان العرب تحت أصل كلمة مَكَنَ: المكان والموضع والجمع أمكنة وأماكن[1]، وأورده في كلمة كَوْنْ... المكانة والمنزلة... والمكانة الموضع.[2]

وجاء بالمعنى نفسه في معجم تاج العروس، المكان الموضع الحاوي للشّيء وعند بعض المتكلّمين هو عرض واجتماع جسمين حاوي ومحوي... فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين.[3]

أما بمعناه الفلسفي فهو: " الموضع وجمع أمكنة وهو المحلّLieu المحدّد الّذي شغله الجسم، نقول مكان فسيح ومكان ضيّق وهو مرادف للامتداد étendue.[4]

وذكر في القرآن الكريم في سورة مريم، فيقول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[5]، أي اتّخذت موضعا لها.

2.1- المكان اصطلاحا:

اتّخذ المكان مفاهيم عديدة تنوّعت بين الفلسفي والفيزيائي والاجتماعي.

فرفعه صاحب معجم المصطلحات محمّد فتحي فيقول أنه: "المحلّ الّذي يشغل الجسم وقسّمه أرسطو إلى عام وخاص، العام هو مكان العالم وهو الحاوي لكلّ شيء والخاص هو أوّل ما يكون به الشّيء[6]، فإذا كانت الأرض هي العام، فإن الخاص هو جزء من هذه الأرض.

---

1 ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق ،ج2، ص 559.

2 المصدر نفسه ، ص 486.

3 محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج9، د.ط، د.ت، ص 348-349.

4 جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي، لبنان، د.ط، 1999م، ص 412.

5 سورة مريم (19)، الآية 16.

6 محمد فتحي: معجم المصطلحات المنطق والفلسفة والعلوم والألفاظ العربية، الإنجليزية واللاتينية، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2003، ص 276-277.

ويضيف في تعريفه للمكان، أنّه: "وسط غير محدود يشتمل على الأشياء وهو متّصل ومتجانس بين أجزاءه".[1]

أمّا معناه الفيزيقي فجاء "أكثر التصاقا بحياة البشر من حيث خبرة الإنسان بالمكان وإدراكه قد يختلفان عن خبرته وإدراكه للزمان"[2]، فالمكان يمكن إدراكه بالحواس أمّا الزّمان فلا يمكن إدراكه إلا ذهنيّا.

وعرف من النّاحية الاجتماعية أنّه "ذلك الكيان الاجتماعي الّذي يحتوي على خلاصة التّفاعل بين الإنسان ومجتمعه".[3]

2- أنواع المكان:

ومنه:

أ. **أماكن مفتوحة:** ويقصد بها الأماكن الفسيحة والواسعة ذات مساحات هائلة، وتتمثّل هذه الأمكنة في الأسواق والمقاهي والسّاحات والشّوارع وتسمّى عادة بالأماكن العامة.[4]

ب. **أماكن مغلوقة:** وهي عكس المفتوحة على العالم، فهي منعزلة عنه، والأمكنة المغلوقة نوعان:

* **أماكن موحشة:** كالجبل – السجن – القبر – الكهف.

* **أماكن أليفة:** البيت – الغرفة – المسجد.[5]

وقد لعب المكان دورا رئيسيا في كتابات الرّحالة الأندلسيين إذ "اعتمد الرّحالة الأندلسيون على المشاهدة وتوثيق أخبارهم ومعلوماتهم، وتصويرهم ووصفهم للأماكن الّتي وصلوا إليها، فهي تمثل المادة الأساس الّتي قامت عليها الرّحلة".[6]

---

1 محمد فتحي: معجم المصطلحات المنطق والفلسفة والعلوم والألفاظ العربية، الإنجليزية واللاتينية ،المرجع نفسه ، ص 277.

2 أحمد طاهر حسين وآخرون: جماليات المكان، دار قرطبة، المغرب، ط2، 1988م، ص 59.

3 نقلا: الشريف جميلة: بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010م، ص 190-191. عن ياسين النصر: إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون العامة، بغداد، ط1، 1986، ص 8.

4 محمد سليمان التويغلي: المكان الروائي، مجلة الملك سعود، المجلة 5، العدد 2، ص 379.

5 ينظر: بلهاشمي أمينة: المكان في الشعر الجزائري الحديث من 1950 إلى 2010م، دراسة سيميائية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، 2016م، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص 149 إلى 162.

6 بلال سالم هرواط: صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، 2008م، ص 45.

فالرّحلة للبقاع المقدسة كانت من أهمّ الأسباب الّتي جعلت الرّحالة يعمدون للقيام برحلاتهم و"الوقوف على أمكنة الانبعاث الدّيني الإسلامي".[1]

ثالثا: علاقة المرأة بالمكان في رحلة ابن جبير:

للمكان عند ابن جبير أهمية كبيرة، وخاصة ما تعلق بالمزارات الدّينية كالقبور والمساجد والدّيار.

1. حوّاء (أمّ البشرية)وألفة المكان:

عرّج ابن جبير على قرية تدعى جدة بها آثار قديمة تدل على قدم هذه القرية فوصل ابن جبير إلى مكان نسب إلى أمّنا حوّاء، إذ يقول: "وبها موضع فيه قبّة مشيدة عتيقة يذكر أنّه كان منزل حوّاء أمّ البشر – صلى الله عليها – عند توجهها إلى مكة، فبني ذلك المبنى عليه تشهيرا لبركته وفضله".[2]

وحوّاء هي أمّ البشرية جمعاء وهي زوج سيّدنا آدم عليه السّلام، إذ يقول الله تعالى:﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالاَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[3]

خلقها الله تعالى لتكون عونا لسيّدنا آدم فأسكنهما الجنّة، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4]، محذرا إياهما من الاقتراب من الشّجرة المحرمة، إلى أن وسوس لهما إبليس ليأكلا منها، فغضب الله عليهما وأنزلهما إلى الأرض، يقول عزّ وجل:﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ﴾[5]، ومن هنا بدأت قصّة عمار الأرض.

1 المرجع السابق، ص 58.

[2] ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ، ص 53.

3 سورة النساء (4): الآية 1.

[4] سورة البقرة (2): الآية 35.

[5] سورة الأعراف (7): الآية 20.

2.آسيا امرأة فرعون ووحشة المكان:

و المكان الاخر الّذي ذكر في رحلة ابن جبير والخاص بالنّساء المباركات كان قبر آسيا امرأة فرعون، إذ قال "... فمنها قبر النّبي صالح وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهم أجمعين وقبر آسيا امرأة فرعون رضي الله عنها".[1]

وهي من النّساء المبشرات بالجنّة لقول الرّسول صلى الله عليه وسلم: "خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون".[2]

وذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة التّحريم ، قال تعالى:﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلّذِينَ ءَامَنُواْ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[3]

هي آسيا بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد... الّتي كانت تخفي إيمانها عن زوجها فرعون[4]، هذه المرأة العظيمة الّتي أقنعت زوجها بتربية النّبي موسى في وقت كان فرعون يقوم بقتل كلّ أولاد بني إسرائيل خوفا من أن تتحقق النّبوءة الّتي قالها له الكهان، بأنولدا من بني إسرائيل سوف يقضي عليه وعلى ملكه، ولما اكتشف فرعون ما أخفته عنه أمر بقتلها، وصعدت روحها الطّيبة إلى خالقها.

3.خديجة (أمّ المؤمنين) وألفة المكان:

ومن الأماكن الّتي عاينها أيضا دار خديجة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، قال: "فمن مشاهدها الّتي عاينها قبّة الوحي، وهي دار خديجة أمّ المؤمنين، رضي الله عنها وبها كان ابتناء النّبي صلى الله عليه وسلم".[5]

---

[1] ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ، ص 20.

2 أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري: شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، د.ط، 1407هـ-1986م.

3 سورة التحريم (66): الآية 11.

4 جيهان متولي، آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، مجلة البيان ، 31 مارس 2006.

5 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ،ص 91.

و هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، من الذؤابة في قريش نسبا وبيتا وشرفا... ويلتقي نسبها بنسب النّبي صلى الله عليه وسلم في الجد الخامس.[1]

عرفت السيدة خديجة بالنّبل والأخلاق الكريمة،و كان لها أن تزوجت مرتين فكان أول أزواجها عتيق بن عائذ المخزومي أمّا الثّاني فهو أبا هالة بن النّباش بن زرارة التميمي.[2]

و اشتهرت رضي الله عنها بالمهنة التي عرف بها قومها، وهي مهنة التّجارة[3]، وبعد سماعها بأخلاق وأمانة النّبي الكريم صلى الله عليه وسلم الّتي امتاز بها عن باقي أقرانه هو ما جعلها تأتمنه على مالها، وبزواجها منه نالت رفعة اللّقب الّذي خصّ الله به زوجات النّبي صلى الله عليه وسلم[4]، بقوله:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ وَزَوْجَاتُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾.[5]

و للسيدة خديجة مكانة مميزة في قلب رسولنا الكريماذ ساوى بينهما وبين مريم بنت عمران في الخيرية والفضل في حديثه السّابق .[6]

4. عائشة(أمّ المؤمنين) وانغلاق المكان:

ومواصلة للمزارات الدّينية الّتي مرّ بها ابن جبير مسجد عائشة رضي الله عنها، فقال: "ومسجد عائشة، رضي الله عنها خارج هذه الأعلام بمقدار غَلوتين، وإليه يصل المالكيون ومنه يحرمون"[7] وفي موضع آخر، "وكذا لا نتخلّص إلى مسجد عائشة من الزّحام واسندادثنيات الطّريق بالهوادج".[8]

---

[1] عبد الحميد محمود طهمار: السيدة خديجة أم المؤنين وسباقة الخلق إلى الإسلام، دار القلم، دمشق، ط2، 1417هـ-1996م.، ص 15.

[2]ينظر: عبد الحميد محمود طهمار: السيدة خديجة أم المؤنين وسباقة الخلق إلى الإسلام ، المرجع السابق، ص 15-16.

[3]ينظر :المرجع نفسه، ص 16.

4ينظر: المرجع نفسه ،ص 43.

5 سورة الأحزاب (33): الآية 6.

6 ينظر: عبد الحميد محمود طهمار: السيدة خديجة أم المؤمنين، المرجع السابق ، ص 109.

[7]ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ،ص 90.

[8]المصدر نفسه ، ص107

وعائشة أمّ المؤمنين هي " بنت أبي بكر الصّديق وأمّها هي أم رومان بنت عمير بن عامر من بني حارث"[1]، فكانت أول من ارتاح لها قلب الرّسول صلى الله عليه وسلم بعد خديجة" وأنّها" وحدها الّتي تزوّجها بكرا"[2].

رافقت السيدة عائشة رضي الله عنها النّبي صلى الله عليه وسلم في كلّ انتصاراته وغزواته، كما شهدت معه نشر الدّعوة في أنحاء الجزيرة العربية.[3]

قال عنها الإمام الزّهري: "ولو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النّبي صلى الله عليه وسلم و علم جميع النّساء، لكان علم عائشة أفضل".[4]

فارقت السيّدة عائشة رضي الله عنها الحياة عن عمر ناهز السّادسة و الستين سنة تاركة وراءها كمًا هائلاً من"الاثار الفقهية و الاجتماعية و السياسية كما صانت لهم من صحيح الحديث عن النّبي صلى الله عليه وسلم".[5]

5. فاطمة بنت الرّسول (صلى الله عليه وسلم) وألفة المكان:

وذكر أيضا مولد فاطمة الزّهراء بنت النذبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "وبها قبّة صغيرة أيضا في الدّار المذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء، رضي الله عنها"[6]،

وهي فاطمة بنت سيّد الخلق رسول الله أبي القاسم محمد بن عبد مناف بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.[7]

---

[1] أميمة محمد علي: زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، عفة، شرف، طهارة، الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

[4] المرجع نفسه،ص 35.

[5] المرجع نفسه ، ص 36.

6 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ،ص 91.

7 عبد الستار الشيخ: فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وأم الحسين، دار القلم، دمشق، ط1، 1436هـ-2010م، ص 27.

وفاطمة الزّهراء هي أصغر بنات الرّسول الكريم و اقربهنّ لقلبه حيث قال عنها: "فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وأنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري".[1]

وقال عنها عمر بن الخطاب: "يا فاطمة ما رأيت أحدا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك صلى الله عليه وسلم أحب إليّ منك".[2]

ثم أتى على وصف الدار قائلا: "وهو بيت صغير مائل للطول، والمولد شبه صهريج صغير وفي وسطه حجر أسود، وفي البيت المذكور مولد الحسن والحسين ابنيها، رضي الله عنهما، ومسقط شلو الحسن لاصق بمسقط شلو الحسين وعليها حجران مائلان إلى السواد كأنهما علامتان للمولدين المباركين الكريمين... وفيه مقعد في الأرض عميق شبيه الحفرة داخل في الجدار قليلا، وقد خرج عليه من الجدار حجر مبسوط كأنه يظل المقعد المذكور..."[3]، فيصفه ابن جبير وصفا يجعلك تتخليه بكل تفاصيله.

6. زبيدة زوجة هارون الرشيد وانفتاح المكان:

وفي الثامن من شهر محرم، الحادي والعشرين من شهر أبريل رحل ابن جبير من المدينة المنورة إلى العراق وفي طريقه مر على مصانع وبرك وآبار هي من آثار زبيدة بنت جعفر المنصور "زوج هارون الرشيد وابنة عمّه، انتبدت لذلك مدّة حياتها، فأبقت في هذه الطّريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى(...) ولولا آثارها الكريمةفي ذلك لما ملكت هذه الطّريق، والله كفيل بمجازاتها والرّضا عنها".[4]

ولدت السيدة زبيدة عام 149 هجرية بالموصل بالعراق وهي زوج الخليفة العباسي هارون الرّشيد وحفيدة مؤسس الدولة العباسية أبو جعفر المنصور، وسميت زبيدة نظرا لشدّة بياضها حيث أطلق عليها هذا الاسم جدها المنصور.[5]

1 ينظر: ا عبد الستار الشيخ: فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وأم الحسين ، لمرجع السابق، ص7

2 المرجع نفسه، ص8

3 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ،ص 141.

4 المصدر نفسه، ص 185.

5ينظر:رباب جودة: قصة زبيدة زوجة هارون الرشيد،www.qssas.com/story، 2019/05/20، 15:00.

كانت السيدة زبيدة ترافق الخليفة في رحلاته للحج فشهدت معاناة الحجاج في الحصول على الماء، فخصّت مجموعة من المهندسين للقيام بمهمة إعداد دراسة لتسهيل توفير الماء بيد أنهم واجهوها بصعوبة المهمة، فقالت لهم: "والله لو كفلت كل ضربة فأس دينارا لفعلت".[1]

وقد كان لها مائة جارية يحفظن القرآن الكريم[2]، فكان يسمع في القصر طنين كطنين النّحل من قراءة القرآن الكريم.[3]

وبعد انتهاء العمل الجليل الّذي أمرت بإنجازه، جاء وكيلها وأحضر معه العمال ليكتبوا لها الحساب، فقالت لهم: "خلوا الحساب ليوم الحساب".[4]

"توفيت ببغداد عام 216 هجرية"، لكن سيرتها ظلت تعطر أفواه الذاكرين لها بالخير عبر السنين .

[1] رباب جودة: قصة زبيدة زوجة هارون الرشيد، www.qssas.com/story، 2019/05/20، 15:00.

[2] أزهري أحمد محمود: زبيدة بنت جعفر –ساقية الحجيج- www.lahaonline.com، 2019/05/24، 15:07.

[3] نانسي دقماق: نبذة عن زبيدة زوجة هارون الرشيد، https://weziwezi.com، 2019/05/24، 15:04.

[4] أزهري أحمد محمود: زبيدة بنت جعفر –ساقية الحجيج- www.lahaonline.com، 2019/05/24، 15:07.

الفصل الثاني
المرأة وفق سياقات ظهورها
في رحلة ابن جبير

أولا: صورة المرأة من خلال رحلة ابن جبير

1. صورة المرأة الحاكمة
2. صورة المرأة المحافظة
3. صورة المرأة و الجمال
4. صورة المرأة و الطّقوس والأعراف:
5. صورة المرأة الجارية

إن القارئ لرحلة ابن جبير لا يجده في مشاهداته يقف عند المرأة ودورها إلا نادرا "إذ أنّها خلت من عنصر المرأة ولم يذكرها ابن جبير إلا مرات معدودات"[1]، مقارنة بالبلدان والأماكن الكثيرة الّتي جابها "رغم تنوّع واختلاف مشاهداته وأوصافه بين التّاريخي والسّياسي والحضاري والاجتماعي، إلا أن ما يتعلق بمشاهدات ابن جبير متصلا بالمرأة يعد يسيرا بالقياس إلى اتساع المساحة الجغرافية التي اشتملت عليها رحلته وإلى حجم الكتاب وكثافة الأوصاف الأخرى."[2]

وسنحاول الوقوف على هذا الجزء اليسير و ما ذكره ابن جبير عن المرأة وعالمها في رحلته ،ومن هي هذه المرأة الّتي حظيت بهذه المكانة في كتابه القيّم.

أولا :صورة المرأة من خلال رحلة ابن جبير:

لا يختلف اثنان في أنّ ابن جبير يعد من الشّخصيات التّقية والمتدينة كغيره من علماء بلاد المغرب ، خرج قاصدا البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، فأدرّت هذه الرّحلة كتابا يعد من المصادر النفيسة ومنارة يهتدى للكشف عن الثراث الادبي و الثقافي و الاجتماعي و السياسي لتلك الحقبة ، حيث أنّه استطاع من خلاله أن ينقل لنا صورا للمرأة الّتي قابلته أو سمع عنها فجعلها نابضة بالحياة بوصف فاق به أقرانه، فالتقط لنا صورا متمايزة لها تأرجحت بين المقبولة والمرفوضة، بالنّظر لتعاليم الإسلاموشخصيته المتدينة.

1. صور المرأة الحاكمة:

تبوأت المرأة مكانة رفيعة في المجتمع السّلجوقي حيث "تميّز وضع المرأة السّلجوقية عن غيرها من نساء الخلفاء أو نساء الأمراء البويهيين بأنها الوحيدة الّتي مارست السّلطة بشكل رسمي".[3]

ولما استقروا بالمشرق الإسلامي "أقاموا دولتهم، ونقلوا إليها عاداتهم وتقاليدهم(...) ومن ضمنها المكانة المميزة لزوجة السلطان ومنحها دورا سياسيا وعسكريا في الدّولة".[4]

1 د. سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 32.

2 أحمد علي السري ،صورة المرأة في كتب الرحلة في عصر الحضارة الإسلامية، ، دورية كان التاريخية، العدد 31، 9 مارس 2019، ص 15.

3 عصام مصطفى عقلة: دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقياتأنموذجا، المجلد 34، (ملحق)، 2007، ص 793.

4 المرجع السابق، ص 794.

وهو ما أعطاها الحق بالتدخل في شؤون الدّولة والحكم وكذا العسكر، إذ يقول ابن جبير من بعد رحيلهم من بغداد إلى الموصل: "ونحن في صحبة الخاتونتين: خاتون بنت مسعود(...) وخاتون أم عز الدّين صاحب الموصل(...)وهاتان الخاتونتان هما أميرتا هذا العسكر الّذي توجهنا له وقائدتاه"[1]، ويضيف ابن جبير قائلا: "والله بجعلنا تحت قول القائل ضاع الرعيل ومن يقوده".[2]

ونلمس من هذه الجملة عدم رضاه لهذه القيادة وعن استيائه الشّديد لهذه الظّاهرة، ونظرا للدّور المهم الّذي كانت تقوم به الخواتين "كان لابد أن تمنح الخاتون مبالغ مالية مقابل هذه الأدوار، ولتقوم بالإنفاق على القوات العسكرية التابعة لها، وعلى الإدارة التي تساعدها في تسيير شؤونها".[3]

وتوفرهنّ على تلك الأموال جعلهن يأمرن ببناء مجموعة من المنشآت، إذ يقول ابن جبير: "ومن النّساء الخواتين الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعيّن لها من مالها الأوقاف ومن الأمراء من يفعل مثل ذلك".[4]

2. صورة المرأة المحافظة

على خلاف ما كان شائعا بين النّاس عن المرأة ودورها ،الّذي ارتبط دائما بالغواني و الاغراء وأنّها رمز من رموز المعاصي في المجتمع الإسلامي، فاننا ألفينا ابن جبير يقدم صورة المرأة الورعة الّتي تتنافس مع الرجل في اكتساب الأجر و الثّواب فيقول: "فلمّا كان اليوم الثّاني، وهو يوم الجمعة، كان طريق العمرة في العمارة قريبا من أمسه راكبين وماشين، رجالا ونساء، والنّساء الماشيات المتأجرات كثيرات يسابقن الرجال في تلك السبيل المباركة، تقبل الله من جميعهم بمنّه".[5]

ويعد هذا اليوم بمثابة عيد يلج الناس له من كل حذب وصوب فلم يستطع رحالتنا منع قلمه من تسجيله فقال عنه : "فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلّا الله عزّ وجل"[6] فصور لنا تهافت النسوة

1 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ، ص 206.

2 المصدر نفسه، ص 206.

3 عصام مصطفى عقلة: دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقيات أنموذجا، المجلد 34، (ملحق)، 2007، ص 795.

4 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق، ص 248.

5 المصدر نفسه، ص 110.

6المصدر نفسه، ص 106.

بمكة المكرمة لتأدية مناسك العمرة في شهر رجبو التي قال عنهارسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل العمرة عمرة رجب"[1].

وكان قد انبهر بجمال بلدة قنا بصعيد مصر اثناء وصوله فسجل لنا اعجابه بنساءها ونساء دشنة فقال: "ومن مآثرهن المأثورة صون نساء أهلها والتزامهن البيوت، فلا تظهر في زقاق من أزقتها امرأة البتة، صحت بذلك الأخبار عنهن، وكذلك نساء دشنة المذكورة قيبل هذا"[2]، وهو تصوير نابع عن خلفية ثقافية دينية للرّحالة والّتي تقر بالتزام المرأة بيتها، وأن لا مكان لها خارجه وفي ذلك قمة الحياء والحشمة بالنسبة لهولما كان سائدا ببلاد المغرب ان داك .

ويعود إلى وصف يوم طواف النساء الذي يأتين له من كل مكان "وفي اليوم التّاسع والعشرين منه وهو يوم الخميس أفرد البيت للنساء فاجتمعن من كل أوب، (...) ولم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام في ذلك اليوم".[3]

وهو ما أثار حفيظة ابن جبير وسعادته لتخصيص يوم لهن بسبب ما يلقين من عوائق في باقي الأيام وهو يوم ينتظرنه بفارغ الصّبر وكأنه عيد بالنسبة لهن: "وبالجملة فهن مع الرجال مسكينات مغبونات يرين البيت الكريم ولا يلجنه ويلحظن الحجر المباركة ولا يستلمنه فحظهنّ من ذلك كله النظر والأسف المستطير المستشعر، فليس لهن سوى الطّواف على البعد، وهذا اليوم الّذي هو من عام إلى عام يرتقبنه ارتقاب أشرف الأعياد".[4]

ومع اقتراب موسم الحج يعطي لنا الرحالة وصفا للخواتين والخاتون هو لقب كان سائدا في عهد السّلاجقة منح لأميرات ونساء السّلاطين، "منحت الأميرات السلجوقيات المنحدرات من سلاطين ونساء السلاطين السلاجقة اللاتي احتللن مكان الزّوجة الأولى للسلطان من غير المنحدرات

1 نقلا: محمد الريشهري: الحج والعمرة في الكتاب والسنة، دار الحديث، ط1، د.ت، ص 296. عن الفقيه 20230/220/2، تفسير العياشي 223/88/1 عن معاوية بن عمار الدهني عن الإمام الصادق (عليه السلام).

2 المصدر نفسه، ص 52.

3 المصدر نفسه، ص 115.

4 المصدر نفسه، ص 116.

من الأسرة السّلجوقية لقب خاتون الّذي يعني المرأة الشّريفة"[1] أي المرأة "صاحبة الكلام في البيت والمتصرفة فيه".[2]

فقدم ابن جبير صورة للخواتين اللائي اشتهرن بالصّلاح والمحافظة على أعمال الخير واصفا موكبهن أثناء وصولهن إلى المسجد النبوي بالمدينة المنورة، قائلا: "... وهي بنت الأمير مسعود(...) راكبة في قبتها، وحولها قباب كرائمها وخدمها(...) إلى باب المسجد المكرم، فنزلت تحت ملحفة مبسوطة عليها، ومشت إلى أن(...)سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، (...)ثم وصلت إلى الروضة الصغيرة التي بين القبر الكريم والمنبر فصلت تحت الملحفة".[3]

ويتوقف هنا عن وصف الخاتون بنت الأمير مسعود ليبدأ في ذكر أفعالها الخيرية، فيقول: "واستجلبت معها إلى المسجد حملين من المتاع للصدقة، فمازالت من موضعها إلى الليل".[4]

ويواصل ذكره لأفعال الخير والبر لهذه الخاتونة، وهي في طريقها للحج، فيقول: "وللخاتون هذه من أفعال البر كثيرة في طريق الحاج، منها سقي الماء للسبيل، عينت لذلك نحو الثّلاثين ناضحة، ومثلها للزاد".[5]

ولم تكن وحدها من ذكرها ابن جبير، بل حتى الخاتون أم عز الدين صاحب الموصل والخاتون ابنة الدقوس صاحب أصبهان حيث كان لهن أيضا نصيب من أفعال الخير والبر، إذ قال: "ولهؤلاء النسوة الخواتين في كل عام، إذ لم يحجن بأنفسهن، نواضح مسبلة مع الحاج يرسلنها مع ثقات يسقون أبناء السبيل في المواضع المعروفة فيها الماء، وفي الطريق كله، وبعرفات، وبالمسجد الحرام، في كل يوم وليلة"[6]، ويختم كلامه بقول: "ولهن في ذلك أجر عظيم"[7]، فحتى وإن تخلفن عن الحج فلا

1 مقالة: عصام مصطفى عقلة: دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقياتأنموذجا، المجلد 34، ملحق، 2007.

2 ادي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط2، 1987-1988، ص 51.

3 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق، ص 177.

4 المصدر نفسه، ص 177.

5 المصدر نفسه، ص 162.

6 المصدر انفسه، ص 164.

7 المصدر نفسه، ص 164.

يتخلفن عن فعل الخير وسقي الحجيج وإطعامهم طوال طريقهم وفي كل مكان يصلون إليه و لهن في ذلك أجر عظيم .

إن ما رصده لنا ابن جبير يبين لنا أن الخواتين ورغم مراكزهن المرموقة وأموالهن الطائلة، فلم يمنعهن من المسارعة إلى العطاء والإنفاق في سبيل الخير والبر مرضاة لله عز وجل وتقربا منه.

3 صورة المرأة والجمال:

ولا نقصد به هنا مفاتن المرأة الجسدية، لأنه ما أعرض عن وصفه ابن جبير طيلة رحلته حتى وإن وقعت عينه على ما شابه ذلك فقد كان حريصا كل الحرص على عدم انزلاق قلمه خوفا من خروجه عن المقصد الّذي رسمه لكتابه.

فيصور لنا زينة الخاتون أم عز الدين صاحب الموصل عند استقبالها وهي قادمة من الحجّ، وقد عده ابن جبير من أحفل المشاهد الدنياوية، فيقول: "ودخلت خاتون المسعودية تقود عسكر جواريها، وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها، وقد جللت قبتها كلها سبائك ذهب مصوغة(...)فلا تكاد تبين من القبة موضعا(...) وصخبت ذلك الحلي يسد المسامع، ومطاياها مجللة الأعناق بالذهب(...) ومجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره".[1]

وبالرغم من هذه الأبهة الّتي أبهرت الأبصار إلا أن هذه الخاتونة مؤثرة لفعل الخير وأعمال البر، محبة للصّالحين والصّالحات "وتزورهن متنكرة رغبة في دعائهم"[2]، ويتعجب ابن جبير مما أخبروه إياه عن أفعالها الخيرية فيقول: "وشأنها عجيب كله على شبابها وانغماسها في نعيم الملك، والله يهدي من يشاء من عباده".[3]

ومن صور الجمال أيضا ما عرضه لنا عن تأثر النّصرانيات بلباس المسلمات في صقلية، وأثناء وصفه لكنيسة الأنطاكي وهي ورغم ما بها من كفران على حد تعبير ابن جبير إلا أنه يعجز اللّسان عن وصف بنيانها، وفي يوم عيد الميلاد الخاص بهم أبصر نساءهم بزي مسلمات.

1 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق، ، ص 212-213.

2 المصدر نفسه، ص 213.

3 المصدر نفسه، ص 213.

فقال: "وزيّ النصرانيات في هذه المدينة زيّ نساء المسلمين، فيصحات الألسن، متلحفات، منتقبات، خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب، والتحفن اللحف الرائقة، وانتقبن بالنقب الملونة، وانتعلن الأخفاف المذهبة(...)حاملات زينة نساء المسلمين من التّحلي والتّخضب والتّعطر"[1]، ونستشف من خلال وصفه التأثر الكبير للنصرانيات بالثقافة الإسلامية.

كما قدم لنا ابن جبير وصفا دقيقا لعروس إفرنجية كان قد حضر حفل زفافها في ميناء صور قائلا: "خرجت العروس تتهادى بين رجلين(...) كأنهما من ذوي أرحامها، وهي في أبهى زيّ، وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهب سحبا على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبتها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حليها وحللها، تمشي فترا في فتر مشي الحمامة أو سير الغمامة"، ويلحظ ابن جبير أنه في طريق الخروج عن سياق الوصف، فيقول: "نعوذ بالله من فتنة المناظر".[2]

4. . صورة المرأة و الطّقوس والأعراف:

نجد ابن جبير يحرص كثيراً على دقّة الوصف، وأنه لم يستثنِ شيئاً وقعت عينه عليه، مركزا على عادات وتقاليد المرأة التي كانت عليها مبدئيا استياءه من بعضها كتجمعهم عند بئر زمزم، واعتقادهم أنه يفيض في كلّ ليلة النّصف من شعبان مهللين ومكبرين، قائلا: "والناس والنّساء يزدحمون على قبة البئر المباركة لأنّهم يزعمون بل يقطعون قطعا جهليا لا قطعا عقليا، أن ماء زمزم يفيض ليلة النّصف من شعبان".[3]

ومن صور المرأة التي أدهشته، ولم يعتد عليها في بلاد المغرب طقوس المشارقة أثناء استقبال الحجاج، فيقول: "ومن عظيم أمرهم تعظيمهم للحاج، (...) فهم يتمسحون بهم عند صدورهم، ويتهافتون عليهم تبركا بهم".[4]

1 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق، ، ص 308.
2 المصدر نفسه، ص 278.
3 المصدر نفسه، ص 118.
4 المصدر نفسه، ص 259.

ولم يتوقف عند هذا الحد بل واصل رواية ما سمعه قائلا: "ومن أغرب ما حُدّثنَاهُ من ذلك: أن الحاج الدّمشقي في هذا العام، الذي هو عام ثمانين، خرج الناس لتلقيهم: الجمّ الغفير نساء ورجالا، يصافحونهم ويتمسحون بهم(...) فأخبرني من أبصر كثيرا من النّساء يلتقين الحاج ويناولنه الخبز، فإذا عضّ الحاج اختطفنه من أيديهم، وتبادرن إلى أكله تبركا بأكل الحاج له"[1]، ولم يوضح لنا ابن جبير السّبب وراء قيامهن بهذا التّصرف.

وأبان لنا ابن جبير عن النّسوة اللائي يدخلن أبناءهن ليلة غسل البيت الحرام بماء زمزم فيغسلن أيديهن وأرجلهن معتقدات أنه يزيل ما حيك في النفوس من هواجس الظنون، فيقول: "وفي اليوم الثاني منه بكر الشّيبيون إلى غسله بماء زمزم المبارك بسبب أن كثيرا من النّساء أدخلن أبناءهن الصغار والرضع معهن، فيحترى غسله تكريما وتنزيها وإزالة لما يحيك في النّفوس من هواجس الظّنون".[2]

وعندما يسيل الماء المبارك يبادرون بغسل وجوههم وأيديهم، حتّى أنّهم يحضرون معهم أوان لجمعه مخصّصة لذلك، فيقول: "فعند انسياب الماء عنه كان كثير من الرّجال والنّساء يبادرون إليه تبركا بغسل أوجههم وأيديهم فيه، ولربما جمعوا منه في أوان قد أعدوها لذلك".[3]

وقد انتقد ابن جبير هذا السلوك قائلا: "أليس جديرا بأن تتلقاه الأفواه فضلا عن الأيدي، وتغمس فيه الوجوه فضلا عن الأقدام".[4] فماء زمزم مُباركفهو طَعامٌ وشَرابٌ وشِفاءٌ وبَرَكةٌلقوله صلى الله عليه وسلم"خَيرُ ماءٍ على وجْهِ الأرضِ ماءُ زَمْزَمَ، فِيه طعامٌ من الطُّعْمِ،و شِفاءٌ من السُّقْمِ.[5]

1 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق، ، ص 259.

2 المصدر نفسه، ص 116.

3 المصدر نفسه، ص 116.

4 المصدر نفسه، ص 117.

[5]أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهاني المكيّ أخبار مكة في قديم الدهر و حديثه ، تحقيق عبد الملك بن دهشيش ،باب ما جاء في فضل زمزم و تفسيره 1106،دار الخضر للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت، لبنان ، 1414هـ – 1994م ، ص 41

5. صورة المرأة الجارية:

لقد وقف الإسلام موقف استهجان من قضية الرق وعرفه فقهاءه أنه: "عجز حكمي يصيب من يقع أسيرا في حرب مشروعه"[1]، وهو ما يختلف مع معتقدات الشعوب الأخرى "فالإسلام لم يشرع الرق كما شرعته الأمم الأخرى بل شرع العتق ورغب فيه".[2]

فلما وصل صقلية أعجب بمسلميها المتمسكين بدينهم "وقد خصّ بمدحهوإعجابه القابضين على الدّين منهم، وهو يعجب لهؤلاء أيّما إعجاب ويسرد أفعالهم الجميلة في افتكاك الأسرى والمحافظة على الصّلوات في تكتّم".[3]

فوقف ابن جبير على أحوالهم داخل قصر الملك غليام لمدينة مسينة وهي إحدى مدن صقلية، فيقول: "وأما جواريه وحظاياه في قصره فمسلمات كلهن"[4]، حيث اندهش مما حدثه به خديم الملك يحي بن فتيان الطّراز "أنّ الإفرنجية من النّصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة، وهنّ على تكتّم من ملكهن".[5]

وذكر لنا ابن جبير كذلك أن جواري الملك المذكور كنّمتقيات محافظات على دينهن فكن يسعين لنشر الإسلام بين النصرانيات من جواري الملك.

ولعله ينقل لناصورة جلية للحياةالجواري داخل القصر الّتي يسودها جوّ من الصّفح والتّسامح، رغم أنهنّ كنّ مختلفات في معتقداتهنّ الدّينية.

1 عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، نوفمبر 1979، ص 32.

2 المرجع نفسه، ص 32.

3 رشا الخطيب ، صورة الآخر في أدب الرحلة صقلية أنموذجا عند ابن حوقل وابن جبير، ، مجلة العرب، الرياض، ج7، ج8، السنة 43، ص 13.

4 ابن جبير: رحلة ابن جبير، المصدر السابق ،ص 299.

5 المصدر نفسه، ص 299.

خاتمة

لقد تبيَّن من خلالِ هذه الدّراسة أنّ البحثَ في الرّحلات بشكلٍ عامٍّ يُعدّ مجالا رحبًا واسعا يفتحُ للباحثِ آفاقا متعددةٍ ومختلفة.

وقد أفضى تطرقنا لموضوعِ المرأةِ وتجليّاتها في رِحلة ابن جبير إلى جملةٍ من النّتائجِ نُجمِلها فيما يلي:

1. إنّ أدب الرّحلة هو خليط بين الإثنُوغرافيَا من حيثُ يقدّم الرّحالة لنا صورًا دقيقةً عن عادات الشّعوبِ الّتي زارها وتقاليدهَا وسُلوكاتهَا وأخلاقهَا، وبين الجغرافيَا وذلك من خلال وصفه للأماكنِ والطّرق وتحديده لمواقع البلدانِ.

2. لعب المكان دورا مهما في رحلةِ ابن جبير، فهو لم يكن مجرّد رحالة يهوى السّفر فحسب بل كان مصوّرًا بارعًا في نقلِه الدّقيقِ للمشهدِ المكانيّ في قالبٍ سرديّ مشوّقٍ.

3. الإهتمامُ الواضحُ لابن جبير بالنّواحِي الدّينية من خلالِ وصفه للمشاهدِ المباركة من قبورِ ومعالم دينيّة كدار خديجة وآبارِ زبيدة بنت جعفر وقبر آسيا امرأةِ فرعون وغيرهَا...

4. ركّز ابن جبير في وصفهِ للمرأةِ على مواقفِها أكثرَ من تركيزِه على مفاتنِها وجمالهَا.

5. أبرزَ ابن جبير في نقلِه لصورةِ المرأةِ الجانبَ المعنوي من نضج سياسِي وفكرِي، والّذي مثّلته "الخواتين" في أبهَى صورة ،إذ أثبتنَ ريادتهنَّ على الرّجالِ، بالإضافةِ إلى الجانبِ الحسّي الذي يتمظهَر عاداتهنّ وتقاليدهِنّ.

6. استحسن ابن جبير بعضَ الأمورِ المتعلقةِ بالمرأةِ من نحو محافظتهَا على أداءِ مناسكِ دينها وإيثارها للخيرِ، وأبدَى استيائِه ممّا استقبَحهُ فيهَا من أمورٍ تتعارض معَ تعاليمِ الدّين الإسلاميّ.

7. تعدّد صُور المرأة في رِحلةِ ابن جبير في حالاتهَا العفيفةِ المحافظةِ، والرّائدةِ القائدةِ والحاكمةِ الّتي تعد رمزًا للتّحرر والقوّةِ والهيبةِ، كما صوّر لنا المرأةَ السّلبية الخاضعَة لقوانين العاداتِ والتقاليدِ.

8. اعتمد ابن جبير في نقله صورَ المرأة التي أوردهَا على المشاهدةِ المباشرةِ إضافة إلى اعتمادهِ أحياناً على المسمُوع الذي رُوي له.

9. قام ابن جبير بوصفِ المرأة في سِياق وصفه للشّعوبِ الّتي كانت تنتمي إليها، فرصد صورة عن هيئتهن ولباسهن وجمالهن.

على أنّ مجال المرأة في كتب الرّحلاتِ يظلّ ميداناً خِصباً ،وموضوعاً بِكراً يحتاج إلى مزيدٍ من جهودِ التّنقيبِ ومزيد من الإثراءِ وفتح آفاق البحث أمام الباحثين والمهتمين والمراجعين.

قائمة المصادر
والمراجع

1) المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش.

1) أبو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي: رحلة ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار صادر، بيروت.

2) أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد: رسالة ابن فضلان، تحقيق د. سامي الدهان، المطبعة الهاشمية، دمشق، د.ط، 1960م.

3) المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد 3، ط1، 1419هـ-1998م.

4) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، الجزء 2، دار الكتب العربية، د.ط، د.ت.

5)أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي: تهذيب الأسماء واللغات، الجزء 1، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط، د.ت.

6)شمس الدين أبو عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

7)عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي: مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

8) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق د. إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.

9)أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس الفاكهاني المكيّ أخبار مكة في قديم الدهر و حديثه ، تحقيق عبد الملك بن دهشيش ،باب ما جاء في فضل زمزم و تفسيره 1106،دار الخضر للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت، لبنان ، 1414هـ – 1994م .

10)أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المكتبة الدينية، بورسعيد، 2002م.

11)أبو محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دراسة وتحقيق رشيد العفاقي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1435هـ-2014م

2) المراجع العربية:

12)أحمد طاهر حسين وآخرون: جماليات المكان، دار قرطبة، المغرب، ط2، 1988م.

13) ادي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء الكاثوليكيين، بيروت، د.ط، 1907م.

14) أميمة محمد علي: زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، عفة وشرف، طهارة، الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.

15) بوشعيب الساوري: الرحلة والنسق دراسة في إنتاج النص الرحلي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

16) حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983م.

17) حسين فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، يونيو، 1989م.

18) زكي محمد حسين: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، 2013م.

19) سميرة آنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين مليلية، الجزائر.دط ، 2009م

20) سيد حامد النساج: مشوار كتب الرحلة (قديما وحديثا)، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، د.ط، د.ت.

21)الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010م.

22) شعيب الخليفي: الرحلة في الأدب العربي، آليات الكتابة، التجنس، خطاب المتخيل، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000م.

23) شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987م.

24) عبد الحميد محمود طهمار: السيدة خديجة أم المؤمنين وسباقة الخلق للإسلام، دار القلم، دمشق، ط2، 1417هـ-1996م.

25) عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، دار الفكر، ط1، 1974م.

26) عبد الستار الشيخ: فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وأم الحسين، دار القلم، دمشق، ط1، 1436هـ-2010م.

27) عبد السلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، نوفمبر 1979م.

28) علي إبراهيم الكردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2013م.

29) عواطف يوسف نواب: الرحلات المغربية الأندلسية، مكتبة الملك فهد، الرياض، د.ط، 1992م.

30) كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز، دار الملك عبد العزيز، د.ط، 2008م.

31) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2002م.

32) ناصر عبد الرزاق موافى: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1995م.

33) عصام عقلة مصطفى، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقيات 447-511هـ/1055-1117م) أنموذجا، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 34، (ملحق) 2007م.

3) المراجع المترجمة:

34) جيرار جنيت: خطاب الرواية، ترجمة محمد معتصم وآخرون، منشورات الاختلاف، ط3، 2003م.

35)كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ج1، 1957م.

4) الرسائل الجامعية:

36) أنعام زعل القيسي: صورة المرأة في أدب الرحلات من القرن الرابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري، (الرؤيا والتشكيل) أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها،اشراف الأستاذ أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة، الأردن، 2016م.

37) بلال سالم هرواط: صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن ،2008م.

38)بلهاشمي أمينة: المكان في الشعر الجزائري الحديث من 1950 إلى 2010م دراسة سيميائية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، اشراف الاستاذة خناثة ،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016م.

39) جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، اشراف الأستاذ لمحمد بن لخضر فورار،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م، ص 28.

40) لامية بوداود: تحليل الخطاب – الميني روائي في الجزائر– رواية أوشام بربرية لجميلة زنير أنموذجا، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، شعبة تحليل الخطاب الأدبي، جامعة الاخوة منتوري، قسنطينة.

5) المعاجم العربية:

41) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، مج 2 و3، دار صادر، بيروت، د.ت.

42) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمية، د.ط، 1999م.

43) جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015م.

44) محمد فتحي: معجم المصطلحات المنطق والفلسفة والعلوم والألفاظ العربية، الإنجليزية، واللاتينية، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2003م.

45) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج9، د.ط، د.ت.

46) مجي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم الفرقوسي، ط8، لبنان، 2005م.

6) المجلات العلمية والدوريات:

47) أحمد علي السري: صورة المرأة في كتب الرحالة في عصر الحضارة الإسلامية، دورية كان التاريخية (علمية، عالمية، محكمة)، العدد 31، مارس 2016م.

48) رشا الخطيب: صورة الآخر في أدب الرحلة، مجلة العرب، ج7، ج8، سنة 43.

49) محمد سليمان التويغلي: المكان الروائي، مجلة الملك سعود، المجلد 5، العدد 2.

7) المواقع الالكترونية:

50) أزهري أحمد محمود: زبيدة بنت جعفر – ساقية الحجيج.https://www.qssas.com/story

51) رباب جودة، قصة زبيدة زوجة هارون الرشيد.https://wezivezi.com

52) نانسي دقماق: نبذة عن زوجة هارون الرشيد.:www.lahaonline.com/articles//https

فهرس
المحتويات

إهداء

شكر و عرفان

مقدمة

تمهيد

أولا: ابن جبير حياته وثقافته وآثاره..... **09**

1. مولده..... **09**

2. زواجه..... **10**

3. شيوخه و ثقافته وأخلاقه..... **10**

4. وفاته وآثاره..... **10**

ثانيا: مفهوم الرحلة..... **11**

1. الرحلة لغة..... **11**

2. الرحلة اصطلاحا..... **11**

ثالثا: أنواع الرحلات..... **12**

1. الرحلات الدينية..... **12**

2. الرحلات العلمية..... **13**

3. الرحلات التجارية..... **14**

4. الرحلات السياحية..... **14**

5. الرحلات الرسمية..... **14**

رابعا: رحلات ابن جبير..... **15**

1. الرحلة الأولى..... **16**

2. الرحلة الثانية..... **18**

3. الرحلة الثالثة..... **18**

خامسا: أهميّة رحلة ابن جبير المعرفية..... **18**

الفصل الأول : صورة المرأة في أدب الرحلات ومآثرها المكانية في رحلة ابن جبير

أولا: صورة المرأة في الأدب الرحلي وأنواعها..... **22**

1. الصورة القريبة من ذات الرحالة..... **23**

2. الصورة المثيرة لاستغراب الذات الراحلة..... **24**

3. الصورة البعيدة عن مرجعيات الرحالة..... **25**

ثانيا: المرأة والمكان في رحلة ابن جبير..... **26**

1- المكان بين اللغة والاصطلاح..... **26**

1.1- المكان لغة..... **26**

2.1- المكان اصطلاحا..... **26**

2- أنواع المكان..... **27**

1.2- أمكنة مفتوحة..... **27**

2.2- أمكنة مغلوقة..... **27**

* أماكن موحشة..... **27**

* أماكن أليفة..... **27**

ثالثا: علاقة المرأة بالمكان في رحلة ابن جبير..... **28**

1. حواء أم البشرية وألفة المكان **28**

2. آسيا امرأة فرعون ووحشة المكان **29**

3. خديجة أم المؤمنين وألفة المكان **29**

4. عائشة أم المؤمنين وانغلاق المكان..... **30**

5. فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وألفة المكان **31**

6. زبيدة زوجة هارون الرشيد وانفتاح المكان..... **32**

الفصل الثاني : المرأة وفق سياقات ظهورها في رحلة ابن جبير

أولا: صورة المرأة من خلال رحلة ابن جبير..... **36**

1. صورة المرأة الحاكمة..... **36**

2. صورة المرأة المحافظة..... **37**

3. صورة المرأة و الجمال..... **40**

4. صورة المرأة و الطّقوس والأعراف: **41**

5. صورة المرأة الجارية..... **43**

خاتمة..... **45**

قائمة المصادر والمراجع..... **48**

الفهرس..... **54**

الملخص:

يعدّ أدب الرحلة من الفنون النثرية التي يعمد الرحالة فيه إلى تصوير ما صادفه من أمور وأحداث مرّ بها بالأقاليم والبلدان التي زارها أو أقام، ورصدها، من حيث تصبح كتبُه من أهم المصادر الأدبيّة و الجغرافية و الاجتماعية و التاريخية المعتمدة.

ومن بين أشهر نماذج الذاتية رحلة ابن جبير الموسومة " تَذكِرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار "التي رصد فيها كل ما يتعلق بالحضارات التي احتكّ بها ، فكانت رصداً موضوعياً لصورة المرأة وتجلياتها فيها استحساناً أو استقباحاً، ودورها فيها إيجاباً أو سلباً، بما يعكس الحياة الاجتماعية والثقافية في القرن السادس الهجري بجلاء .

الكلمات المفتاحية : الرحلة ، أدب الرحلة، ابن جبير، صورة المرأة، المكان.

Résumé :

La littérature du voyage est un art de prose qui consiste à décrire ce qu'il y a vécu comme événements dans les contrées et les pays visités ou y a séjournés et enregistrés pour en faire l'un des plus important livres littéraires, géographiques, sociales et historiques adoptées.

Parmi les modèles les plus célèbres de voyage, on citera Ibn Jubayr dans son œuvre "**Rappel de l'actualité sur les contrats de voyage**" dans lequel il relève toutes les civilisations qu'il a côtoyés, pour en faire des observations logique de l'image des femmes et de leurs manifestations attractives ou positives, ainsi que leur rôle positif ou négatif reflétant clairement la vie sociale et culturelle au sixième siècle AH.

Mots Clés : Voyage- Littérature du voyage- Ibn Jobayr- Image des Femmes, Lieu

Abstract:

The travel literature is an art of prose that consists of describing what has happened there as events in the countries visited or stayed there and registered as one of the most important literary, geographical, social and historical books adopted.

Among the most famous models of travel, we can quote Ibn Jubayr in his work "**Reminder of the news on travel contracts**" in which he notes all the civilizations he has rubbed shoulders, to make logical observations of the image of women and their attractive or positive manifestations, as well as their positive or negative role clearly reflecting social and cultural life in the sixth century AH**.**

Keywords: Travel- Travel literature- Ibn Jobayr- Image of Women, Location